

سلسلة تفريغات شبكة بينونة

القول على الله بغير علم

السَّيِّفُ
يوسف بن حسن الحمادي

قام بها فريق التفريغ في شبكة بينونة للعلوم الشرعية



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يسرّ شبكة بينونة للعلوم الشرعية أن تقدم لكم تفرغاً لخطبة

بعنوان

القول على الله بغير علم

للشيخ

يوسف بن حسن الحمادي

- حفظه الله تعالى -

نسأل الله سبحانه وتعالى أن ينفع به الجميع

حقوق الطبع محفوظة لشبكة بينونة للعلوم الشرعية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

أما بعد:

يقول الله -جَلَّ وَعَلَا-: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [آل عمران: ١٦٤].

في هذه الآية يُبَيِّنُ الله -جَلَّ وَعَلَا- فيها أكبر نعمة وأعظم منّة امتنَّ بها على عباده؛ ألا وهي بعثة نبينا -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، وأنَّ هذه البعثة لها مقاصد، وأن من مقاصدها وغاياتها تزكية العباد، وتطهيرهم من مساوئ الأخلاق، ورذائل الأعمال، ومن الشرك بأنواعه والمعاصي على تفاوتها.

قال عبد الله بن عمرو -رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ-: كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فِي سَفَرٍ، فَتَزَلْنَا مَنْزِلًا، إِذْ نَادَى مُنَادِي رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: الصَّلَاةُ جَامِعَةٌ، قَالَ: فَاجْتَمَعْنَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، فَقَالَ: «إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ نَبِيٌّ قَبْلِي إِلَّا كَانَ حَقًّا عَلَيْهِ أَنْ يَدُلَّ أُمَّتُهُ عَلَى خَيْرٍ مَا يَعْلَمُهُ هُمْ، وَيُنْذِرَهُمْ شَرًّا مَا يَعْلَمُهُ هُمْ»^(١).

وإن من الشر الذي أنذرنا نبينا -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ونهانا عنه وحذرنا منه المحرمات على تفاوت مراتبها واختلاف أنواعها، المحرمات والذنوب حقيقتها أنها قاذورات يُدنس المرء بها دينه، ويُلطخ بها عرضه، هكذا وصفها أرأف الناس بنا وأحرصهم علينا نبينا -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- حيث قال: «اجْتَنِبُوا هَذِهِ الْقَاذُورَةَ الَّتِي نَهَى اللَّهُ عَنْهَا، فَمَنْ أَلَمَّ فَلَيْسَتْ بِسِرِّ اللَّهِ وَلَيْتُبَ إِلَى اللَّهِ»^(٢).

(١) أخرجه مسلم في " صحيحه " (٣ / ١٤٧٢) برقم: ١٨٤٤

(٢) أخرجه الحاكم في " مستدركه " (٤ / ٢٧٢) برقم: ٧٦١٥

وإن من تلك المحرمات التي جاء النهي عنها صريحاً في القرآن، وورد على فعلها الوعيد العظيم، والتحذير الشديد: القول على الله بلا علم، والإفتاء في دين الله -جَلَّ وَعَلَا- بلا ثبُت، والجرأة على القول بالتحليل والتحریم في المسائل الشرعية دون دليل؛ فهذا العمل عَظِيمَةٌ من العُظائم، بل كبيرةٌ من كبائر الذنوب، بل أعلى الذنوب وأشدّها.

قال الله -جَلَّ وَعَلَا-: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٣] فليتدبّر المسلم كيف بدأ الله -جَلَّ وَعَلَا- في هذه الآية ببيان المحرّمات:

- فبدأ بالفواحش.

- ثم ثنّى بما هو أشدّ تحريماً من الإثم والظلم.

- ثم ثلّث بما هو أعظم تحريماً وهو الشرك به سبحانه.

- ثم ربّع بما هو أشدّ تحريماً من ذلك كله وهو القول عليه بلا علم،

ونسبة ما لا يثبت إلى دين الله تعالى.

ولهذا وصف الله -جَلَّ وَعَلَا- من يتكلم بجهلٍ في دينه، ويُفتي بلا علمٍ بالأحكام الشرعية بالكذب والافتراء عليه -عَزَّ وَجَلَّ-، فقال سبحانه: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ﴾ [النحل: ١١٦]؛ أي: لا تُحرِّموا وتُحلِّلوا من تلقاء أنفسكم كذبًا وافتراءً على الله وتقولوا عليه، فإن عاقبة ذلك عدم الفلاح في الدنيا والآخرة.

قال -جَلَّ وَعَلَا- فيمن هذا شأنه يوم القيامة: ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ﴾ [الزمر: ٦٠] نعوذ بالله من الخذلان.

هذا فقط؟ لا، خذوا هذا الخبر الصادق من نبيكم -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- في حال من هذا شأنه يوم القيامة، قال -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-: « أَشَدُّ النَّاسِ عَذَابًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ رَجُلٌ قَتَلَ نَبِيًّا، أَوْ قَتَلَهُ نَبِيٌّ، أَوْ رَجُلٌ يُضِلُّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ، أَوْ مُصَوِّرٌ يُصَوِّرُ التَّمَاثِيلَ »^(١)

(١) أخرجه الطبراني في " الكبير " (١٠ / ٢١١) برقم: ١٠٤٩٧

و يأتي المرء زجرًا عن هذا العمل والجرأة عليه ما يترتب عليه من الإثم؛ لقول نبينا -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «مَنْ أُفْتِيَ بِغَيْرِ عِلْمٍ كَانَ إِثْمُهُ عَلَى مَنْ أَفْتَاهُ»^(١)؛ فمن سُئِلَ عن مسألة شرعية فليُجِبْ عنها حسب علمه بالدليل الشرعي، أو ينقل أقوال العلماء المعتبرين، ولا يتكلف الإجابة ويقول: أقل: أن الأمر كذا، لعل الجواب كذا، سمعت يقولون كذا، هذا جوابٌ غير مقبولٍ أبدًا، وفاعله آثم بحكم رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-.

قال عبد الله بن مسعود -رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ-: "مَنْ عِلِمَ مِنْكُمْ شَيْئًا فَلْيَقُلْهُ، وَمَنْ لَمْ يَعْلَمْ فَلْيَقُلْ لِمَا لَا يَعْلَمُ: اللهُ أَعْلَمُ، فَإِنَّ مِنْ عِلْمِ الْمُرءِ أَنْ يَقُولَ لِمَا لَا يَعْلَمُ: اللهُ أَعْلَمُ" وقد قال ربنا -جَلَّ وَعَلَا- لنبه -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: ﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ﴾ [ص: ٨٦].

(١) أخرجه أبو داود في "سننه" (٣/ ٣٢١) برقم: ٣٦٥٧

وكانت العقوبات على القول على الله وفي دين الله بلا علم أليمة،
والتهديدات شديدة لما يترتب عليه من الكذب على الله، وإغواء الناس
وإضلالهم، والإساءة إليهم بصرفهم عن الحق، وإبعادهم عن الحكم
الصحيح الذي أنزله الله - جَلَّ وَعَلَا - على عباده وبَيَّنَّه نبيه - صَلَّى الله
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -.

بيان هذا في قول نبينا - صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : «إِنَّ اللَّهَ لَا يَقْبِضُ
الْعِلْمَ أَنْتِزَاعًا يَتَزَعُهُ مِنَ الْعِبَادِ، وَلَكِنْ يَقْبِضُ الْعِلْمَ بِقَبْضِ الْعُلَمَاءِ حَتَّى
إِذَا لَمْ يُبْقِ عَالِمًا اتَّخَذَ النَّاسُ رُؤُسَاءَ جُهَاًلًا فَسُئِلُوا، فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ»
النتيجة: «فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا»^(١).

والواجب على كل مسلمٍ ناصحٍ لنفسه، مريدٍ للخير بها أن يعرف
لنفسه قدرها، فيتكلم إن تكلم بعلم ويعتذر بعدم درايته فيما لا يعرف

(١) أخرجه البخاري في " صحيحه " (٣١ / ١) برقم: ١٠٠، ومسلم في " صحيحه "

حكمه، فإن اعتراف كلِّ منا بعدم علمه عما يُسأل عنه لِيُعَدَّ من إكرام النفس وإعزازها وتنزيلها منزلتها اللائقة بها.

مما يُحْزِن حَقًّا ما يُرَى من إقدام كثير من الناس على اختلاف تخصصاتهم من جرأتهم على الفتيا، والكلام في أحكام الله -جَلَّ وَعَلَا- مع الإعراض الظاهر عن التعلُّم من الأحكام الشرعية، وهذا للأسف يكثر في المجالس، والزيارات العائلية، واللقاءات، وغيرها.

فاللزام في حق كل مسلم ومسلمة: الغيرة على ديننا، وعدم الرضا بالقول فيه بلا علم، وإيقاف كل من يتجرأ على ذلك، ونصحه، وتعريفه بقدر نفسه.

فالواجب على كل مسلم: ألا يقول إلا الحق؛ لأن الله أمرنا بذلك فقال: ﴿وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ﴾ [النساء: ١٧١].

والواجب علينا: أن نتذكر ونذكر غيرنا بأننا مسؤولون عما نقول، ومحاسبون عنه، قال الله -جَلَّ وَعَلَا-: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾ [الإسراء: ٣٦] المعنى: تثبَّت في كل ما تقوله وتفعله، فلا تقل

ولا تفعل شيئاً بلا علم، ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ [الإسراء: ٣٦] ولا تنسى أن السائل هو الله -جَلَّ جَلَالُهُ-.

والواجب علينا: أن نعلم أن القول على الله بلا علم من مداخل الشيطان التي يقصد من خلالها الإضلال والغواية، فعلينا الحذر، قال -جَلَّ وَعَلَا-: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا خُطَوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ (١٦٨) إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿[البقرة: ١٦٨-١٦٩].

والواجب علينا: أن نقتدي بأصحاب رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- في ورعهم عن الفتوى، والذي كان الواحد منهم يود أن أخاه كفاه الفتيا وبيان الحكم الشرع.

والواجب علينا: أن نتحرى، وأن نسأل مَنْ عُرِفَ بالتُّبُّتِ في إجاباته، والتحرى في بيانه الأحكام الشرعية، فليس كل من ظهر في القنوات أو خرج في الفضائيات يصلح للفتوى، فإن هذا العلم دين،

فلينظر المرء عمن يأخذ دينه، وتَبَرَّأ به ذمَّته عند ربه، ويتحقق باستفتائه الوقوف على الحكم الشرعي الذي رضي الله -جَلَّ وَعَلا- لعباده.

قال سبحانه: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾

[النحل: ٤٣] جعلني الله وإياكم ممن يتحرَّى في دينه، ويتفقه في أحكام شريعة ربِّه، ويتحرَّى سنَّة نبيه -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ظاهراً وباطناً.

هذا والله أعلم وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.



حسابات شبكة بينونة للعلوم الشرعية

ليصلكم جديد شبكة بينونة، يسعدنا أن نتواصل على المواقع التالية:

① 【 Twitter تويتر 】

<https://twitter.com/BaynoonaNet>

② 【 Telegram تيليجرام 】

<https://telegram.me/baynoonanet>

③ 【 Facebook فيسبوك 】

<https://m.facebook.com/baynoonanetuae/>

④ 【 Instagram انستقرام 】

<https://instagram.com/baynoonanet>

⑤ 【 WhatsApp واتساب 】

احفظ الرقم التالي في هاتفك

<https://api.whatsapp.com/send?phone=971555409191> 

أرسل كلمة "اشترك"

تنبيه في حال عدم حفظ الرقم لديك

((لن تتمكن من استقبال الرسائل))

⑥ 【 تطبيق الإذاعة 】

لأجهزة الأيفون

<https://appsto.re/sa/gpi5eb.i>

لأجهزة الأندرويد

<https://goo.gl/nJrA9j>

⑦ 【 Youtube يوتيوب 】

<https://www.youtube.com/c/BaynoonanetUAE>

⑧ 【 Tumblr تمبلر 】

<https://baynoonanet.tumblr.com/>

⑨ 【 Blogger بلوجر 】

<https://baynoonanet.blogspot.com/>

⑩ 【 Flickr فليكر 】

<https://www.flickr.com/photos/baynoonanet/>

⑪ 【 لعبة كنوز العلم 】

لأجهزة الأيفون

<https://goo.gl/Q8M7A8>

لأجهزة الأندرويد

<https://goo.gl/vHJbem>

【 البريد الإلكتروني 】

info@baynoona.net

【 الموقع الرسمي 】

<http://www.baynoona.net/ar/>



حقوق الطبع مع محفوظات

